مصر، منذ عهد سعيد واسماعيل، واضحاً، حيث ظهر الى جانب الممولين الأوروبيين أصحاب المصارف الخاصة، مثل باستر وديرفيو وأوبنهايم ولافيسون ولنداو، ممولون من اليهود الشرقيين، ومن اليونانيين، ومن بلاد الشام. وكان أهم هؤلاء الممولين عائلات قطاوي ومنشّيه وسوارس وسرسق. وقد أسس هؤلاء، أيضاً، مصارف خاصة، وكانت لهم صلات ببعض البيوت المالية في أوروبا وببعض كبار الممولين اليهود فيها. وبعد ان تدهورت أحوال اسماعيل المالية، ودبّ الخلاف بينه وبين ديرفيو وأوبنهايم، لتوقفهما عن اقراضه، صفّت المصارف الأوروبية الخاصة أعمالها في مصر، وعاد أصحابها الى أوروبا، فحلت المجموعة الجديدة محلها في أعمالها الاستثمارية كافة، بما فيها اقراض الخديوي والحكومة. وقد أسس هؤلاء «بنك يعقوب قطاوي وأولاده» و«بنك يعقوب منشّيه» و«بنك اخوان سوارس» و«بنك سرسق». وكان اسماعيل يتعامل مع كل هذه المصارف، ويتعامل، أيضاً، مع «بنك عاداه» و«بنك ظريفه وزافيرو بولو». ومن العائلات المصرفية الأخرى، التي ظهرت في تلك الفترة، عائلة هراري التي اشتركت في انشاء البنك العقاري المصري والبنك الأهلي المصري وشركات السكر والمياه وكوم امبو والشيخ فضل[٨]، وجميع هؤلاء من العائلات اليهودية، باستثناء عائلة سرسق، التي جاءت من لبنان العام ١٨٦٠. وبدأ اليهود في مصر يلعبون دوراً ملحوظاً في الاقتصاد المصري.

نعود الى موقف فرنسا في الفترة تلك، مع بداية العمل في حفر قناة السويس، حيث كان حماس فرنسا لاقامة دولة يهودية في فلسطين تحت الحماية الفرنسية. وأخذ بعض المفكرين والكتاب السياسيين في فرنسا يرفعون لواء الدعوة للمناداة بفلسطين «اقليماً يهودياً»، على نحو مماثل للدعوة الصادرة بجعل لبنان «اقليماً مسيحياً» تحت الحماية الفرنسية. وقد أبدى نابليون الثالث اهتماماً ملحوظاً بفكرة توطين اليهود في فلسطين، خاصة حين حصلت فرنسا على امتياز شق قناة السويس. وبرز هذا الاهتمام على لسان عدد من الشخصيات الفرنسية المقربة الى نابليون الثالث.

ومن بين هؤلاء جان هنري دونان، الذي كان على صلة وثيقة بحكام أوروبا. وقد قام بنشاطات واسعة في فرنسا، وخارجها، لكسب الرأي العام الفرنسي، والأوروبي، من أجل الاستيطان اليهودي في فلسطين، وأنشأ «جمعية استعمار فلسطين» في باريس، ونجح في الحصول عى موافقة الامبراطورة أوجيني، زوجة نابليون الثالث، لتولّي رئاسة هذه الجمعية. وفي الفترة عينها، عبّر السكرتير الخاص لنابليون الثالث، ارنست لاهاران، عن المطامع الامبريالية الفرنسية في الشرق، وعن اهمية المشروع الصهيوني بالنسبة اليها، ونشر آراءه في كتابه الذي أصدر العام ١٨٦٠ بعنوان «المسألة الشرقية الجديدة؛ الامبراطورية المصرية والعربية واعادة احياء القومية اليهودية». واقترح لاهاران قيام فرنسا بتوطين اليهود في فلسطين، يؤازرها في ذلك دعم وجهد المصرفيين والتجار اليهود في العالم، ويجرى اكتتاب مالي يهودي عام يتيح لليهود المجال لشراء «وطنهم القديم» من الدولة العثمانية. وأوضح لاهاران الفوائد التي تعود على الامبريالية الغربية من وراء هذا المشروع بقوله: «أي قوة في أوروبا ستعترض على الخطة الداعية الى اتحاد اليهود من أجل شراء ارض أجدادهم القديمة؟ ومن ذا الذي سيعترض، اذا عمد اليهود الى القاء بضع حفنات من الذهب الى تركيا العاجزة المتهالكة؟... لن تثار أي اعتراضات على تحقيق هذه الخطة». والذي يعنينا في مشروع لاهاران الجزء الخاص بمصر، حيث جاء فيه: «وسوف يتم السماح لمملكة يهودا بتوسيع حدودها من السويس الى مرفأ أزمير، بحيث تشمل منطقة سلسلة جبال لبنان الغربية بكاملها...». وقد وصف لاهاران العرب، في كتابه، بالهمجية والوحشية؛ بل أنكر المساهمة العربية في ميادين العلوم الأوروبية وقصرها على اليهود. ومن المفارقات العجيبة ان لاهاران قدّم كتابه، بل مشروعه هذا، وهو في الوقت عينه، أحد ضيوف الشرف